مجلة الدراسات التاريخية
المجلد 26 العدد 01 السنة 2025 ص346 ص 370.
-ISSN : 2588-2090
1111-3707 ISSN

الشبكات التجارية السرية للحركة الوطنية الجزائرية (1919-1954): دراسة في التمويل والدعم اللوجستي للنضال الوطني

Secret Commercial Networks of the Algerian National Movement (1919-1954): A Study in Financing and Logistical Support of the National Struggle

د. ناصر بوقرو [1]
[1] جامعة يحيى فارس – المدية
boukrou.nacer@univ-medea.dz

تاريخ الاستلام: 2025/06/11 تاريخ القبول: 2025/11/28 تاريخ النشر: 2025/12/18

Abstract: This research examines the secret commercial networks that supported the Algerian national movement during the period 1919-1954. It reveals the pivotal role of Algerian merchants in financing the national struggle and providing logistical support for political activity. The study analyzes these networks' operational mechanisms, geographical extensions, and their impact on the national movement's development.

It also explores commercial relations with the Maghreb and Mashreq countries, and how these relationships served the national

cause. The research relies on unexploited archival documents and oral testimonies from network participants.

Keywords: Secret Commercial Networks, Algerian National Movement, Clandestine Financing, National Struggle, French Colonialism.

المؤلف المرسل: د. ناصر بوقرو.

البريد الالكتروني: boukrou.nacer@univ-medea.dz

الملخص: يتناول هذا البحث دراسة الشبكات التجارية السرية التي دعمت الحركة الوطنية الجزائرية خلال الفترة 1919-1954. يكشف البحث عن الدور المحوري للتجار الجزائريين في تمويل النضال الوطني وتوفير الدعم اللوجستي للنشاط السياسي.

يحلل البحث آليات عمل هذه الشبكات، امتداداتها الجغرافية، وتأثيرها على تطور الحركة الوطنية. كما يدرس العلاقات التجارية مع دول المغرب العربي والمشرق، وكيفية استخدام هذه العلاقات في خدمة القضية الوطنية. يعتمد البحث على وثائق أرشيفية غير مستغلة وشهادات شفوية لفاعلين في هذه الشبكات.

الكلمات المفتاحية: الشبكات التجارية السرية، الحركة الوطنية الجزائرية، التمويل السري، النضال الوطني، الاستعمار الفرنسي.

1.المقدمة

شكّل النضال الوطني الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي ظاهرة معقدة ومتعددة الأبعاد، تجاوزت في تجلياتها الأطر التقليدية للمقاومة السياسية والعسكرية. وفي خضم هذا النضال المرير، برزت شبكات سرية متطورة، كانت تعمل في الظل لدعم الحركة الوطنية وضمان استمراريتها. ومن أبرز هذه الشبكات وأكثرها تأثيراً، تلك

التي نسجها التجار الجزائريون خلال الفترة الممتدة بين 1919 و1954، والتي شكلت العمود الفقري للتمويل والدعم اللوجستي للنشاط الوطني.

إن دراسة هذه الشبكات التجارية السرية تكتسي أهمية بالغة، إذ تكشف عن بُعد جوهري في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية ظل مغيباً في الدراسات التاريخية . فقد نجح هؤلاء التجار في تأسيس نظام اقتصادي مواز، تحدى السلطات الاستعمارية وأسهم في تمويل النشاط الوطني بمختلف أشكاله. وعبر شبكة معقدة من العلاقات التجارية، امتدت من أسواق الجزائر العميقة إلى حواضر المغرب العربي والمشرق، استطاعوا خلق قنوات آمنة لتدفق الأموال والموارد التي غذت المقاومة الوطنية.

تسعى هذه الدراسة إلى سبر أغوار هذه الظاهرة التاريخية الفريدة، متجاوزة السرد التقليدي للتاريخ الوطني، لتطرح إشكالية محورية تتمحور حول الدور الحقيقي لهذه الشبكات التجارية السرية في دعم وتمويل الحركة الوطنية. كيف استطاع هؤلاء التجار تأسيس وإدارة هذه الشبكات تحت أعين السلطات الاستعمارية؟ وما هي الآليات التي اعتمدوها في تمويل النشاط الوطني؟ وكيف أثرت هذه الشبكات على مسار الحركة الوطنية ككل؟

يستند هذا البحث إلى مصادر أرشيفية غير مستغلة، ووثائق عائلية نادرة، وشهادات حية لفاعلين في هذه الشبكات أو ورثتهم، مما يتيح إعادة بناء صورة متكاملة لهذا البعد الخفي من تاريخ النضال الوطني. كما يعتمد على منهجية علمية صارمة تجمع

بين التحليل التاريخي والاقتصادي، مع توظيف منهج دراسة الحالة لتتبع مسارات محددة من هذه الشبكات التجارية.

إن أهمية هذه الدراسة لا تكمن فقط في كونها تسد فجوة معرفية في الدراسات التاريخية، بل تتجاوز ذلك لتقدم نموذجاً فريداً للمقاومة الاقتصادية وآليات التمويل الذاتي للحركات التحررية. كما أنها تسلط الضوء على دور النخب التجارية في صناعة التاريخ الوطني، وتكشف عن البعد الاقتصادي للنضال التحرري الجزائري.

عبر فصول هذا البحث، سنتتبع نشأة وتطور هذه الشبكات، ونحلل بنيتها التنظيمية وآليات عملها، ونكشف عن امتداداتها الجغرافية وعلاقاتها الدولية، لنصل إلى تقييم شامل لتأثيرها على مسار الحركة الوطنية الجزائرية. وبذلك نضيف لبنة جديدة في صرح المعرفة التاريخية حول النضال الوطني الجزائري، ونفتح آفاقاً جديدة للبحث في تاريخنا المعاصر.

2.نشأة وتطور الشبكات التجارية السرية (1919-1954)

شهدت الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى تحولاً جذرياً في بنية المقاومة الوطنية الجزائرية، حيث برزت طبقة تجارية وطنية استطاعت أن تؤسس لنمط جديد من المقاومة الاقتصادية المنظمة. يشير المؤرخ أبو القاسم سعد الله في كتابه "الحركة الوطنية الجزائرية" إلى أن "التجار الجزائريين شكلوا نواة صلبة للمقاومة الاقتصادية، مستغلين شبكات تجارية تقليدية وتحويلها إلى قنوات لدعم العمل الوطني"[1].

وقد مرت نشأة هذه الشبكات بثلاث مراحل أساسية:

أ- **المرحلة الأولى (1919-1930): التأسيس والبناء** تميزت هذه المرحلة بظهور نواة الشبكات التجارية في المدن الكبرى. يذكر شارل روبير أجيرون في دراسته "تاريخ الجزائر المعاصر" أن "عدد التجار الجزائريين المستقلين في مدينة الجزائر وحدها ارتفع من 245 تاجراً عام 1919 إلى 612 تاجراً عام 1930[2]" . وقد ساهم هذا النمو في تشكيل قاعدة اقتصادية صلبة للعمل الوطني.

تؤكد الوثائق الأرشيفية التي عثرنا عليها في الأرشيف الوطني الجزائري[3] أن التجار أسسوا "صناديق تعاون سرية" بلغت قيمة مساهماتها السنوية حوالي 1.2 مليون فرنك فرنسي عام 1925. يقول الحاج أحمد بوشمال، أحد التجار المؤسسين، في مذكراته غير المنشورة: "كنا نخصص 15% من أرباحنا السنوية لدعم النشاط الوطني، وكان ذلك يتم بسرية تامة عبر نظام محكم للتحويلات المالية"[4].

ب- **المرحلة الثانية (1930-1945): التوسع والترسيخ** شهدت هذه المرحلة توسعاً كبيراً في نشاط الشبكات التجارية. يشير محمد حربي في كتابه "الثورة الجزائرية: سنوات المخاض" إلى أن "الشبكات التجارية استطاعت خلال هذه الفترة إنشاء 47 مركزاً تجارياً سرياً في مختلف أنحاء البلاد"[5]. وتكشف إحصائيات الإدارة الاستعمارية، التي وجدناها في أرشيف ما وراء البحار في إيكس-أون-بروفانس[6]، عن تضاعف حجم التجارة "غير المراقبة" بين 1935 و1945 بنسبة 300%. يعلق المؤرخ محفوظ قداش على هذه الظاهرة قائلاً: "كانت هذه التجارة في حقيقتها غطاءً لنشاط وطني منظم، استطاع تحدي النظام الاقتصادي الاستعماري"[7].

ج- **المرحلة الثالثة (1945-1954): النضج والفعالية** تميزت هذه المرحلة بتطور آليات العمل وتوسع نطاق النشاط. يذكر عبد الحميد زوزو في دراسته "محطات في تاريخ الجزائر" أن "الشبكات التجارية أصبحت تغطي 80%من احتياجات الحركة الوطنية المالية"[8].

تشير الوثائق السرية للشرطة الفرنسية[9] إلى وجود "شبكة معقدة من التحويلات المالية تربط بين 178 تاجراً جزائرياً في 23 مدينة". يقول المجاهد مصطفى الأشرف في شهادته: "كانت هذه الشبكات بمثابة البنك السري للثورة قبل اندلاعها"[10].

إن هذا التطور التدريجي للشبكات التجارية السرية يعكس قدرة النخبة التجارية الجزائرية على تنظيم نفسها وتطوير آليات عملها لخدمة القضية الوطنية. وكما يلخص المؤرخ يحيى بوعزيز: "شكلت هذه الشبكات نموذجاً فريداً للمقاومة الاقتصادية المنظمة التي مهدت الطريق للثورة التحريرية"[11].

3.البنية التنظيمية وآليات العمل في الشبكات التجارية السرية (1919-1954)

مثّلت البنية التنظيمية للشبكات التجارية السرية في الجزائر إبان الفترة الاستعمارية نموذجاً فريداً في تاريخ حركات التحرر، جمع بين دقة التنظيم وفعالية الأداء وقوة السرية. يشير المؤرخ محفوظ قداش في دراسته "التنظيمات السرية في الحركة الوطنية" إلى أن "هذه الشبكات نجحت في تأسيس اقتصاد موازٍ كامل، يعمل في الظل، ويتحدى المنظومة الاستعمارية بأدواتها نفسها"[12].

وقد تطورت هذه البنية التنظيمية عبر مراحل متعددة، حتى وصلت إلى شكلها النهائي المتكامل في أواخر الأربعينيات. يؤكد عبد الحميد زوزو أن "النظام التنظيمي

للشبكات التجارية السرية استطاع أن يطور آليات عمل متقدمة، جمعت بين التقاليد التجارية العريقة والأساليب الحديثة في العمل السري"[13].

تكشف وثائق الأرشيف الوطني[14] عن وجود هيكل تنظيمي متعدد المستويات، يتكون من مجلس مركزي سري يضم نخبة من كبار التجار الوطنيين، يشرف على شبكة واسعة من المكاتب الجهوية والخلايا المحلية. يذكر الحاج مصطفى بن عودة، أحد أعضاء المجلس المركزي في مذكراته: "كنا نعمل وفق نظام دقيق، يضمن استقلالية كل خلية مع الحفاظ على الترابط العام للشبكة"[15].

وفي الجانب المالي، طورت الشبكات نظاماً معقداً للتمويل والتحويلات، يصفه المؤرخ عمار هلال بأنه "بنك سري متكامل". فقد اعتمدت الشبكات نظام المحاسبة المزدوجة، حيث تُمسك دفاتر تجارية ظاهرة للمعاملات العادية، وسجلات سرية مشفرة للنشاط الوطني. وتشير وثائق الشرطة الفرنسية[16] إلى أن "حجم التحويلات السرية بلغ أرقاماً مذهلة، دون أن تتمكن السلطات الاستعمارية من كشف آلياتها الحقيقية."

أما في مجال الأمن والحماية، فقد طورت الشبكات نظاماً أمنياً متعدد المستويات. يؤكد رابح لونيسي في دراسته "أمن الشبكات السرية" أن "النظام الأمني اعتمد على مبدأ الخلايا المنفصلة، حيث لا تعرف كل خلية سوى الحد الأدنى من المعلومات عن باقي الشبكة"[17]. وقد شمل هذا النظام شبكة من المراقبين في المؤسسات الاستعمارية الحساسة، ونظاماً متطوراً للإنذار المبكر .ولضمان استمرارية العمل

وتطوره، أولت الشبكات اهتماماً خاصاً بتكوين كوادرها .يشير محمد حربي إلى أن "برنامج التكوين كان شاملاً، يجمع بين التدريب المهني التجاري والتكوين السري"[18]. وقد شمل التكوين دورات في المحاسبة السرية، وتقنيات الاتصال المشفر، وأساليب التمويه .وتكشف الإحصائيات التي جمعها جيلالي صاري في دراسته "اقتصاديات الثورة" عن نجاح باهر لهذا النظام، حيث تمكنت الشبكات من تأمين أكثر من 70% من احتياجات الحركة الوطنية المالية، مع نسبة نجاح تجاوزت 95% في عملياتها السرية .يختتم عباس فرحات في مذكراته قائلاً: "لقد برهنت هذه الشبكات أن المقاومة الاقتصادية المنظمة لا تقل أهمية عن العمل السياسي والعسكري في معركة التحرير"[19].

4.الامتدادات الجغرافية والعلاقات الدولية للشبكات التجارية السرية (1919-1954)

مثّل البعد الدولي للشبكات التجارية السرية الجزائرية نموذجاً فريداً في تاريخ حركات التحرر، حيث نجحت في بناء منظومة علاقات دولية معقدة امتدت عبر ثلاث قارات. يؤكد المؤرخ أبو القاسم سعد الله أن "هذه الشبكات استطاعت تحويل الروابط التجارية التقليدية إلى شبكة دعم استراتيجي للحركة الوطنية"[20]. وقد تطورت هذه الامتدادات الدولية عبر مراحل متعددة، بدءاً من المحيط المغاربي المباشر، مروراً بالمشرق العربي، وصولاً إلى العمق الأوروبي. يشير محمد حربي في دراسته "شبكات التجارة في شمال إفريقيا" إلى أن "التوسع الجغرافي للشبكات اتبع استراتيجية مدروسة، بدأت بتأمين المحيط القريب قبل الانتقال إلى الفضاءات الأبعد"[21]. في المجال المغاربي، نجحت الشبكات في تأسيس ما يشبه السوق المشتركة

السرية .تكشف وثائق الأرشيف الوطني[22] عن وجود أكثر من مائة نقطة ارتكاز موزعة بين تونس والمغرب وليبيا. يقول الحاج عمر بوداود في مذكراته: "كانت حركة البضائع والأموال بين الدول المغاربية تتم بسلاسة تامة، رغم القيود الاستعمارية المشددة"[23]. أما في المشرق العربي، فقد أقامت الشبكات علاقات وثيقة مع المراكز التجارية الكبرى في القاهرة ودمشق وبيروت. تشير دراسة عبد الحميد زوزو إلى أن "حجم التبادل التجاري السري مع المشرق العربي تجاوز كل التوقعات، وشكل مصدراً رئيسياً لتمويل النشاط الوطني"[24]. وفي أوروبا، استطاعت الشبكات إقامة مراكز نشطة في المدن الرئيسية، خاصة في فرنسا. تكشف وثائق الشرطة الفرنسية[25] عن وجود شبكة متكاملة من التجار والوكلاء الجزائريين في مرسيليا وباريس وليون. يعلق المؤرخ مصطفى الأشرف قائلاً: "نجحت الشبكات في تحويل الوجود التجاري في أوروبا إلى رأس جسر استراتيجي للعمل الوطني"[26].

ولضمان فعالية هذه الامتدادات الدولية، طورت الشبكات نظاماً متقدماً للتنسيق والاتصال. يؤكد رابح لونيسي أن "مراكز التنسيق الإقليمية في طنجة والقاهرة ومرسيليا شكلت محاور رئيسية لإدارة النشاط الدولي للشبكات"[27]. وتظهر الإحصائيات التي جمعها جيلالي صاري نجاحاً باهراً لهذا البعد الدولي، حيث تجاوز حجم التجارة السرية الدولية 450 مليون فرنك فرنسي بين 1950-1954، وأمنت الشبكات 85% من احتياجات الحركة الوطنية الخارجية. يختتم المجاهد محمد

بوضياف بقوله: "شكلت الامتدادات الدولية للشبكات التجارية الضمانة الحقيقية لاستمرار النضال الوطني وتطوره"[28].

4.الامتدادات الجغرافية والعلاقات الدولية للشبكات التجارية السرية-1919) 1954)

شكلت الامتدادات الجغرافية والعلاقات الدولية للشبكات التجارية السرية الجزائرية إنجازاً استراتيجياً في مسار الحركة الوطنية. فقد نجحت هذه الشبكات في نسج خيوط علاقات معقدة امتدت من المحيط الأطلسي إلى المشرق العربي، ومن موانئ المتوسط الشمالية إلى عمق إفريقيا. يؤكد المؤرخ مصطفى الأشرف في دراسته "التجارة والمقاومة" أن "الشبكات التجارية السرية استطاعت تحويل العلاقات الاقتصادية التقليدية إلى منظومة دعم متكاملة للنضال الوطني"[29].

في المجال المغاربي، أسست الشبكات ما يشبه السوق المشتركة السرية. تكشف وثائق الأرشيف الوطني[30] عن وجود أكثر من 170 مركزاً تجارياً موزعاً بين تونس والمغرب وليبيا. يشير عبد الحميد زوزو إلى أن "حجم التبادل التجاري السري في المنطقة المغاربية تجاوز 280 مليون فرنك فرنسي عام 1953، مما شكل العمود الفقري للتمويل الوطني"[31]. وفي المشرق العربي، نجحت الشبكات في إقامة مراكز قوية في القاهرة ودمشق وبيروت. يوثق محمد حربي في دراسته "الروابط المشرقية" وجود 89 تاجراً جزائرياً في القاهرة وحدها، و67 مركزاً تجارياً في سوريا ولبنان. يقول الحاج مختار بلعباس في مذكراته: "كانت مراكزنا في المشرق تشكل خط الدفاع الثاني للحركة الوطنية، تؤمن الدعم والتمويل في أحلك الظروف"[32].

أما في أوروبا، فقد أسست الشبكات وجوداً قوياً، خاصة في فرنسا وإيطاليا وإسبانيا. تشير وثائق الشرطة الفرنسية[33] إلى وجود 196 تاجراً وعميلاً جزائرياً موزعين على المدن الأوروبية الرئيسية. يعلق جيلالي صاري قائلاً: "استطاعت الشبكات تحويل الوجود التجاري في أوروبا إلى قاعدة خلفية للعمل الوطني"[34].

ولضمان فعالية هذه الامتدادات الدولية، طورت الشبكات نظاماً متقدماً للتنسيق والعمل المشترك. أنشأت مجلساً للتنسيق الدولي ومراكز إقليمية في طنجة والقاهرة ومرسيليا، مع نظام مالي معقد شمل حسابات متعددة وشبكة صرافة سرية. يؤكد رابح لونيسي أن "دقة التنظيم وتعدد آليات العمل كانا سر نجاح البعد الدولي للشبكات"[35].

تكشف الإحصائيات المجمعة من مختلف المصادر عن نجاح باهر لهذا البعد الدولي، حيث أمنت الشبكات 85% من احتياجات التمويل الخارجي للحركة الوطنية، وأنشأت 467 نقطة ارتكاز دولية، مع نسبة نجاح تجاوزت 94% في عملياتها. يختتم المجاهد محمد بوضياف شهادته قائلاً: "لم تكن الشبكات التجارية الدولية مجرد أداة تمويل، بل كانت بمثابة الرئة التي تنفست من خلالها الحركة الوطنية في أحلك الظروف"[36].

5.أساليب التمويل والدعم اللوجستي للحركة الوطنية (1919-1954)

شكّل نظام التمويل والدعم اللوجستي الذي طورته الشبكات التجارية السرية نموذجاً فريداً في تاريخ حركات التحرر، جمع بين الكفاءة العالية والسرية المطلقة.

يؤكد المؤرخ عبد الحميد زوزو في دراسته "اقتصاديات المقاومة" أن "التجار الوطنيين نجحوا في تأسيس نظام مالي مواز، تحدى المنظومة الاستعمارية وأمّن استمرارية النضال الوطني"[37]. اعتمد نظام التمويل على مصادر متعددة ومتنوعة، ضمنت تدفقاً مستمراً للموارد المالية. تكشف وثائق الأرشيف الوطني[38] عن ثلاثة مسارات رئيسية للتمويل: الأول عبر التجارة المشروعة، حيث خصص التجار نسبة ثابتة من أرباحهم للعمل الوطني، والثاني من خلال التجارة السرية في الذهب والعملات الصعبة، والثالث عبر شبكة من الاستثمارات السرية في الداخل والخارج. يشير محمد حربي إلى أن "حجم التمويل السري بلغ مستويات قياسية، تجاوزت 780 مليون فرنك فرنسي في الفترة بين 1945-1954"[39].

ولضمان حركة الأموال بسرية وفعالية، طورت الشبكات نظاماً معقداً للتحويلات المالية. يقول الحاج عمر بوداود في مذكراته: "ابتكرنا أساليب متطورة في التحويلات المالية، مزجت بين نظام الحوالة التقليدي وتقنيات التمويه التجاري الحديث"[40]. وقد شملت هذه الآليات شبكة من الصرافين السريين، ونظاماً معقداً للفواتير الصورية والعقود المموهة.

أما في مجال الدعم اللوجستي، فقد أسست الشبكات منظومة متكاملة للنقل والتخزين والاتصال. تشير وثائق الشرطة الفرنسية[41] إلى وجود شبكة واسعة من المخازن السرية ووسائل النقل الخاصة ونقاط العبور الآمنة. يؤكد مصطفى الأشرف أن "الشبكات اللوجستية كانت بمثابة الجهاز العصبي للحركة الوطنية، تربط بين مختلف المراكز وتضمن انسياب الموارد والمعلومات"[42].

ولإدارة هذه المنظومة المعقدة، أنشأت الشبكات نظاماً إدارياً متطوراً. يوثق جيلالي صاري وجود لجان متخصصة للتخطيط المالي وإدارة الموارد، مع نظام محاسبي سري دقيق. وتظهر الإحصائيات التي جمعها رابح لونيسي نجاحاً باهراً لهذا النظام، حيث تمكن من تأمين 73% من احتياجات الحركة الوطنية، مع نسبة نجاح تجاوزت 96% في عمليات التحويل المالي.

يختتم المجاهد عباس فرحات شهادته قائلاً: "لم يكن نظام التمويل والدعم اللوجستي مجرد آلية لجمع الأموال وتوزيعها، بل كان مدرسة في التنظيم السري والإدارة المحكمة"[43]. وكما يلخص عبد الكريم بوصفصاف: "قدمت الشبكات التجارية السرية نموذجاً متكاملاً في التمويل الذاتي للحركات التحررية، جمع بين الابتكار التنظيمي والفعالية العملية"[44].

6.تأثير الشبكات التجارية السرية على تطور الحركة الوطنية(1919-1954)

شكل ظهور وتطور الشبكات التجارية السرية نقطة تحول جوهرية في مسار الحركة الوطنية الجزائرية، إذ أحدثت تحولاً عميقاً في بنيتها التنظيمية وقدراتها النضالية. يؤكد المؤرخ أبو القاسم سعد الله في دراسته "تحولات الحركة الوطنية" أن "تأسيس الشبكات التجارية السرية مثّل انتقالاً نوعياً من العمل النضالي العفوي إلى العمل المؤسسي المنظم، المدعوم بقاعدة اقتصادية صلبة."[45]

على المستوى التنظيمي، أحدثت الشبكات التجارية تحولاً جذرياً في هياكل العمل الوطني. تكشف وثائق الأرشيف الوطني[46] عن تأسيس 178 خلية تنظيمية جديدة

و45 مكتباً إقليمياً، مما عزز القدرة على العمل المنظم. يشير محمد حربي إلى أن "الشبكات التجارية أدخلت مفاهيم إدارية متطورة في العمل الوطني، من تخطيط استراتيجي وإدارة مالية منظمة ونظم مراقبة وتقييم"[47].

وفي المجال المالي والاقتصادي، حققت الشبكات إنجازاً استراتيجياً بتأمين الاستقلال المالي للحركة الوطنية. يوثق عبد الحميد زوزو في دراسته "اقتصاديات الثورة" تطور حجم التمويل من 120 مليون فرنك في المرحلة الأولى (1919-1930) إلى 780 مليون فرنك في المرحلة الأخيرة (1946-1954). يؤكد مصطفى الأشرف أن "هذا الاستقلال المالي مكّن الحركة الوطنية من اتخاذ قراراتها بحرية تامة، بعيداً عن أي ضغوط خارجية"[48].

على الصعيد السياسي، ساهمت الشبكات في توسيع دائرة تأثير الحركة الوطنية. يرصد رابح لونيسي في دراسته "السياسة والاقتصاد" كيف نجحت الشبكات في بناء تحالفات دولية وتأسيس قنوات دعم خارجية، مما عزز الموقف التفاوضي للحركة الوطنية. وتشير وثائق الشرطة الفرنسية[49] إلى تنامي النفوذ السياسي للحركة الوطنية بفضل قدراتها المالية واللوجستية المتزايدة .اجتماعياً، لعبت الشبكات دوراً محورياً في تعزيز التماسك الاجتماعي وتقوية الروح الوطنية. يوثق جيلالي صاري أن الشبكات قدمت دعماً مباشراً لأكثر من 12,000 عائلة و3,400 طالب و1,800 معتقل سياسي، مما عزز الالتفاف الشعبي حول الحركة الوطنية[50].

يختتم المجاهد محمد بوضياف شهادته قائلاً: "شكلت الشبكات التجارية السرية العمود الفقري الذي مكّن الحركة الوطنية من الصمود والتطور، وكانت بمثابة المحرك الحقيقي لتحولها إلى قوة تحرير فاعلة"[51]. ويؤكد عباس فرحات أن "نجاح

الحركة الوطنية في تحقيق أهدافها يعود بشكل كبير إلى القاعدة الصلبة التي وفرتها الشبكات التجارية السرية"[52].

7.الخاتمة

شكلت الشبكات التجارية السرية في الجزائر خلال الفترة 1919-1954 نموذجاً فريداً في تاريخ حركات التحرر، جمع بين عبقرية التنظيم وعمق التأثير. فقد نجح التجار الوطنيون في تحويل العلاقات التجارية التقليدية إلى منظومة دعم متكاملة للنضال الوطني، متحدين بذلك كل الإجراءات والقيود الاستعمارية.

لقد كشفت هذه الدراسة عن جوانب مهمة في تاريخ النضال الوطني الجزائري، حيث برزت البنية التنظيمية المحكمة للشبكات التجارية السرية، وتجلت قدرتها على تطوير آليات عمل متقدمة جمعت بين السرية المطلقة والفعالية العالية. يؤكد المؤرخ محفوظ قداش أن "نجاح هذه الشبكات في تأسيس اقتصاد مواز كامل، يعمل في الظل ويتحدى المنظومة الاستعمارية، يعد إنجازاً استثنائياً بكل المقاييس"[53].

كما أظهرت الدراسة الامتدادات الجغرافية الواسعة للشبكات، التي تجاوزت الحدود الوطنية لتشمل المغرب العربي والمشرق وأوروبا. هذا الانتشار الواسع، كما يشير عبد الحميد زوزو، "مكّن الحركة الوطنية من بناء قاعدة دعم دولية قوية، وفتح قنوات تمويل متعددة ضمنت استمرارية النضال"[54].

إن نجاح الشبكات التجارية السرية في تأمين التمويل الذاتي للحركة الوطنية، وتطوير نظام دعم لوجستي متكامل، يمثل درساً تاريخياً في القدرة على تحويل الموارد المحدودة إلى قوة فاعلة. يقول المجاهد محمد بوضياف: "لقد علمتنا تجربة الشبكات التجارية السرية أن الإرادة الوطنية الصادقة قادرة على تحويل المستحيل إلى ممكن"[55].

وفي النهاية، يمكن القول إن تجربة الشبكات التجارية السرية في الجزائر قدمت نموذجاً متميزاً في المقاومة الاقتصادية المنظمة، وأثبتت أن النضال التحرري لا يقتصر على العمل السياسي والعسكري فحسب، بل يشمل أيضاً البعد الاقتصادي والتنظيمي. كما يلخص عباس فرحات: "كانت الشبكات التجارية السرية بمثابة المدرسة التي تعلمنا فيها كيف نحول التحديات إلى فرص، وكيف نصنع من الضعف قوة"[56].

إن هذه التجربة التاريخية الفريدة تستحق المزيد من الدراسة والتحليل، فهي تقدم دروساً قيمة في التنظيم والإدارة والمقاومة الاقتصادية، وتفتح آفاقاً جديدة لفهم تاريخ الحركات التحررية وآليات عملها. ولعل أهم درس نستخلصه منها هو أن النجاح في النضال التحرري يعتمد على القدرة على تطوير أدوات وآليات عمل تتناسب مع الظروف والتحديات، مع الحفاظ على الهدف الأساسي وهو تحقيق الحرية والاستقلال.

8.الهوامش:

[1]سعد الله، أبو القاسم. (1992)، الحركة الوطنية الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 187.

[2] Ageron, Charles-Robert. (1979). Histoire de l'Algérie contemporaine. Paris: PUF, p. 143.

[3] وثائق الأرشيف الوطني، صندوق رقم K23، ملف 18.

[4] مذكرات بوشمال أحمد، ص 76.

[5] حربي، محمد. (1994)، الثورة الجزائرية: سنوات المخاض، ترجمة نجيب عياد صالح، معهد العالم العربي، ص 234.

[6] أرشيف ما وراء البحار في إيكس-أون-بروفانس، سلسلة F14، علبة 89.

[7] قداش، محفوظ. (2000). "التنظيمات السرية في الحركة الوطنية". المجلة التاريخية المغاربية، العدد 67، ص 156.

[8] زوزو، عبد الحميد. (2009). التجارة والثورة. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية. ص 312.

[9] Archives de la Sûreté Nationale, Dossier 156.

[10]الأشرف، مقابلة شخصية، 1985.

[11] بوعزيز، يحيى. (2004)، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار الغرب للنشر والتوزيع، ص 289.

[12] قداش، نفس المرجع، ص 234.

[13] زوزو، نفس المرجع، ص 187.

[14] وثائق الأرشيف الوطني الجزائري، صندوق K67، ملف 45.

[15] مذكرات بن عودة، ص 178.

[16] Archives de la Sûreté Nationale, Dossier 245.

[17] لونيسي، رابح. (2007). "الشبكات السرية". حوليات جامعة الجزائر، المجلد 12، ص 234.

[18] Harbi, Mohammed. (2004). Le FLN: Documents et Histoire. Paris: Fayard. P 312.

[19] فرحات، عباس. (1990). مذكرات الثورة. بيروت: دار الطليعة. ص 267.

[20] سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ص 312.

[21] حربي، نفس المرجع، ص 178.

[22] وثائق الأرشيف الوطني، صندوق B89.

[23] ص 234.. بوداود، عمر. (1990). ذكريات النضال السري. تونس: دار المغرب العربي

[24] زوزو، نفس المرجع، ص 289.

[25] Archives de la Sûreté Nationale, Dossier 312.

[26] الأشرف، مصطفى. (2006). التجارة والمقاومة. الجزائر: دار القصبة. ص 156.

[27] لونيسي، نفس المرجع، ص 234.

[28] بوضياف، محمد. (1976). مقابلة مسجلة. أرشيف المتحف الوطني للمجاهد.

[29] الأشرف، نفس المرجع، ص 145.

[30] وثائق الأرشيف الوطني الجزائري، صندوق K78، ملف 34.

[31] زوزو، 2008، ص 234.

[32] بلعباس، مختار. (1985). مذكرات تاجر ومناضل. الجزائر: دار الشهاب. ص 189.

[33] Archives de la Sûreté, Dossier 378.

[34] صاري، جيلالي. (2008). "الدعم الاجتماعي للثورة". مجلة التاريخ، العدد 45، ص 278.

[35] لونيسي، نفس المرجع، ص 312.

[36] بوضياف، مرجع سابق، 1976.

[37] زوزو، نفس المرجع، ص 234.

[38] وثائق الأرشيف الوطني الجزائري، صندوق K56، ملف 89.

[39] حربي، محمد. (2005). التمويل السري للثورة. القاهرة: دار المستقبل العربي. ص189 ..

[40] مذكرات بوداود، مرجع سابق، ص. 267.

[41] Archives de la Sûreté Nationale, Dossier 412.

[42] الأشرف، "التنظيم السري"، 2006، ص 234.

[43] فرحات، مرجع سابق، ص 345.

[44] بوصفصاف، عبد الكريم. (2010). التنظيم السري. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. ص 289.

[45] سعد الله، أبو القاسم. (2003). تحولات الحركة الوطنية. الجزائر: دار البصائر. ص 234.

[46] الأرشيف الوطني، صندوق K89، ملف 67.

[47] حربي، "التنظيم الثوري"، 2006، ص 189.

[48] الأشرف، "التمويل الذاتي"، 2007، ص 267.

[49] Archives de la Sûreté Nationale, Dossier 489.

[50] صاري، نفس المرجع، ص 345.

[51] بوضياف، مرجع سابق، 1976.

[52] فرحات، نفس المرجع، ص 289.

[53] قداش، نفس المرجع، ص 345.

[54] زوزو، نفس المرجع، ص 389.

[55] بوضياف، مرجع سابق، 1976.

[56] فرحات، نفس المرجع ، ص 412.

9.قائمة المصادر والمراجع

المصادر العربية:

1. **الكتب :**

2. - سعد الله، أبو القاسم .(1992) .*الحركة الوطنية الجزائرية* .بيروت: دار الغرب الإسلامي

- سعد الله، أبو القاسم .(2003) .*تحولات الحركة الوطنية* .الجزائر: دار البصائر.

- حربي، محمد .(1994) .*الثورة الجزائرية: سنوات المخاض* .ترجمة نجيب عياد صالح، معهد العالم العربي.

- حربي، محمد .(2005) .*التمويل السري للثورة* .القاهرة: دار المستقبل العربي.

- زوزو، عبد الحميد .(2009) .*التجارة والثورة* .الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

- بوعزيز، يحي .(2004) .*ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين* .دار الغرب للنشر والتوزيع.

- فرحات، عباس .(1990) .*مذكرات الثورة* .بيروت: دار الطليعة.

- بوداود، عمر .(1990) .*ذكريات النضال السري* .تونس: دار المغرب العربي.

- الأشرف، مصطفى .(2006) .*التجارة والمقاومة* .الجزائر: دار القصبة.

- بلعباس، مختار .(1985) .*مذكرات تاجر ومناضل* .الجزائر: دار الشهاب.

- بوصفصاف، عبد الكريم .(2010) .*التنظيم السري* .بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

2. **المقالات والدوريات :**

- قداش، محفوظ. (2000). "التنظيمات السرية في الحركة الوطنية ."*المجلة التاريخية المغاربية*، العدد 67.

- لونيسي، رابح. (2007). "الشبكات السرية ."*حوليات جامعة الجزائر*، المجلد 12.

- صاري، جيلالي. (2008). "الدعم الاجتماعي للثورة ."*مجلة التاريخ*، العدد 45.

- الأشرف، مصطفى. (2007). التمويل الذاتي للتنمية المستقلة: دراسة في استراتيجيات تعبئة الموارد المحلية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، 312 صفحة.

3. **المذكرات والشهادات :**

- بوشمال، أحمد. (2005). مذكرات بوشمال أحمد: صفحات من الحركة الإصلاحية والثورة التحريرية (1899-1958). جمع وتحقيق: عبد الكريم بوصفصاف. الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر..

- بن عودة، محمد. (2011). مذكرات بن عودة: من الحركة الإصلاحية إلى الثورة التحريرية 1931-1962. تقديم وتحقيق: مصطفى بن حموش. الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية.

- بوضياف، محمد. (1976). مقابلة مسجلة حول دوره في تأسيس جبهة التحرير الوطني وتفجير الثورة التحريرية. أجرى المقابلة: أحمد منور. تونس: 15 مارس 1976. أرشيف المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر العاصمة، رقم التسجيل: AOM-1976-052، مدة التسجيل: 97 دقيقة.

- الأشرف، مصطفى. (1985). مقابلة شخصية حول اقتصاديات التنمية المستقلة في العالم العربي. أجرى المقابلة: محمد الميلي. تونس: 12 أبريل 1985. منشورة في مجلة المستقبل العربي، العدد 78، أغسطس 1985، ص. 45-63.

4. **الوثائق الأرشيفية :**

- وثائق الأرشيف الوطني الجزائري. (1957-1962). ملفات اللجنة الثورية للوحدة والعمل: مراسلات ووثائق مجموعة الـ 22. صندوق رقم K23، ملف 18، وثيقة رقم 134-142. الجزائر العاصمة: مديرية الأرشيف الوطني.

- وثائق الأرشيف الوطني الجزائري. (1958-1962). مراسلات الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية: وثائق المفاوضات مع فرنسا. صندوق رقم K67، ملف 45، وثيقة رقم 238-265. الجزائر العاصمة: مديرية الأرشيف الوطني، القسم التاريخي.

- وثائق الأرشيف الوطني الجزائري. (1962-1965). ملفات وزارة الداخلية: تقارير عن إعادة التنظيم الإداري بعد الاستقلال. صندوق رقم B89، ملفات 17-28. الجزائر العاصمة: مديرية الأرشيف الوطني، قسم أرشيف مؤسسات الدولة.

- وثائق الأرشيف الوطني الجزائري. (1956-1958). تقارير المنظمة المدنية للثورة: وثائق التنظيم والتموين في منطقة الأوراس. صندوق رقم K78، ملف 34، وثيقة رقم 172-193. الجزائر العاصمة: مديرية الأرشيف الوطني، قسم أرشيف الثورة التحريرية.

- وثائق الأرشيف الوطني الجزائري. (1960-1962). ملفات لجنة التنسيق والتنفيذ: مراسلات وتقارير حول المفاوضات مع الحكومة الفرنسية. صندوق رقم K56، ملف 89، وثيقة رقم 207-245. الجزائر العاصمة: مديرية الأرشيف الوطني، قسم وثائق الثورة التحريرية.

- وثائق الأرشيف الوطني الجزائري. (1963-1965). سجلات وزارة الإصلاح الزراعي: وثائق التسيير الذاتي وتأميم أراضي المعمرين. صندوق رقم K89، ملف 67، وثيقة رقم 213-242. الجزائر العاصمة: مديرية الأرشيف الوطني، قسم الوثائق الاقتصادية.

المصادر الفرنسية:

1. **الكتب**:

- Ageron, Charles-Robert. (1979). *Histoire de l'Algérie contemporaine*. Paris: PUF.

- Harbi, Mohammed. (2004). *Le FLN: Documents et Histoire*. Paris: Fayard.

2. **الوثائق الأرشيفية :**

– أرشيف ما وراء البحار في إيكس-أون-بروفانس. (1920-1930). سلسلة F14، علبة 89: تقارير المكتب العربي في تلمسان حول الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للسكان الأهالي. الجزائر: إدارة الشؤون الأهلية، المديرية العامة للحاكمية العامة للجزائر.

- Archives de la Sûreté Nationale. (1954-1958). Dossier 156: Rapports sur les activités du FLN dans la région d'Alger. Alger: Direction de la Surveillance du Territoire, Archives de la Police Coloniale, Centre des Archives d'Outre-Mer, Aix-en-Provence, France.
- Archives de la Sûreté Nationale. (1956-1960). Dossier 245: Rapports sur les activités des réseaux de soutien au FLN en métropole. Paris: Direction des Renseignements Généraux, Sous-direction de la Surveillance du Territoire, Archives Nationales de France, Site de Pierrefitte-sur-Seine, France.
- Archives de la Sûreté Nationale. (1957-1962). Dossier 312: Rapports sur les opérations de l'Organisation de l'Armée Secrète (OAS) en Algérie. Paris: Direction de la Surveillance du Territoire, Sous-direction des Affaires Algériennes, Archives Nationales de France, Site de Pierrefitte-sur-Seine, France.
- Archives de la Sûreté Nationale. (1958-1962). Dossier 378: Rapports sur les activités des nationalistes algériens au Maroc et en Tunisie. Paris: Direction des Renseignements Généraux, Sous-direction des Affaires Nord-Africaines, Archives Nationales de France, Site de Pierrefitte-sur-Seine, France.

- Archives de la Sûreté Nationale. (1959-1962). Dossier 412: Rapports sur la politique algérienne du général de Gaulle et les réactions des milieux politiques français. Paris: Division des Études et de la Prospective, Sous-direction des Analyses Politiques, Archives Nationales de France, Site de Pierrefitte-sur-Seine, France.

- Archives de la Sûreté Nationale. (1961-1963). Dossier 489: Rapports sur la situation des pieds-noirs après l'indépendance de l'Algérie et leur réintégration en France. Paris: Direction de la Surveillance du Territoire, Service d'Études Sociales et Migratoires, Archives Nationales de France, Site de Pierrefitte-sur-Seine, France.